إلى درجات العرش، ولكنه كان يشعر بأنه قد ضلّ لفرط فَقْده كلَّ مفهوم من مفاهيم المسافات. وخُيِّل إليه أن الملك كان قريباً. القُربَ الذي يمكن أن تكون عليه شمس (ماردين) قريبة إلى حدّ الانبهار، إلى حدّ اللفح، ومع ذلك فقد كان الطريق الناعم الملمس الذي يقود إليه يبدو بلا نهاية ووَعْراً ومُنْحَدِراً، وكان يُطوى بانطباع من البطء الشديد واللُّهاث والضِّيق. وأصبح الوقت وقت ريب وندم. ندم على أنه لم يُصغِ إلى نصائح «مالكوس» الرشيدة وهو لا يزال يتوسّل إليه حتى مدخل القصر أن يعدِل عمّا هو بسبيله. ندم على أنّه لم يبقَ مختبئاً في بستان نخيله «مثل عرق بخور مريم بين الحجارة» كما كان سيقول «سيتايي». وكان قد مرّ على ذلك عامان. عامان، إنها الأبد! وتذكّر «ماني» ذلك، بيد أن ذكرياته كانت مُثْقَلة بالضّباب وكأنها كانت تنتمي إلى حياة سابقة.

واستحضر «تَوْأَمَة»، «صِنوَه»، فليظهرْ! بحقّ الرحمة! لقد كان بحاجة إلى التأكّد من أنه هنا، معه، وأنه يسير إلى جانبه على طريق الامتحان هذا، وأنه سيأخذ الكلام عنه إذا خانه فمه هو. «احتفظ بدَعَتك يا «ماني»، وأنسَ الذهب وعدٌ عن البذخ، لا تَدَعْ أبداً إنساناً يَبْهرك، ملِكاً كان أو نبيّاً. لقد استودعه القَدَر ما استودعك وما استودع كلّ أحد. والمهمّ هو إدراك ذلك. فبعد ألف عام لن يتحدَّث أحد عن «شاهبور» إلا لأن دربك كان قد اجتاز ببلاطه».

وصل آخر الأمر إلى محاذاة الحاجب. وأشار إليه هذا أن يخرّ إلى الأرض، ثم همس إليه أنه قد سُمح له بالنهوض. وسحب «ماني» من رُدنه الـ «بادهام» النظيف قبل أن يتكلّم.

ـ المجد لأقوى الناس! ولتُستَجب أكرمُ أمانيه!.

لم تكن العبارة مستعملة فقطّب صاحب الرفعة حاجبيه وارتعد وجه الملك السامي بدهشة خاصّة ببني البشر. بيد أن شيئاً ممّا قيل لم يكن خارجاً على التبجيل. ودُعي «ماني» آخر الأمر بحركة إلى تقديم نفسه.